

جدل الذاتي و الموضوعي في الدرس الاستشراقي للتراث العربي الإسلامي

The subjective and objective debate in the orientalist lesson of the Arab-Islamic heritage

آسيا واعر*

جامعة عنابة/ الجزائر (fikr.assiahocine@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2018/06/05 ؛ تاريخ القبول : 2018/11/17 ؛ تاريخ النشر : 2018 /12/ 20

Abstract

الملخص

Oriental studies dominated many fields of knowledge of Arab and Islamic thought, and this is since the Church explicitly declared at the beginning of the fourteenth century the need to research Eastern civilizations in general and Arab Islamic civilization in particular. Her eyes are to dig into the civilizational and cultural structures of the Eastern nations. It turns out that many of these studies have been based on the subjective aspect of studying the other in order to achieve the greatest possible control over it, - in one way or another - no matter what the Orientalist production is in its first form. It is as if he is in the service of the Islamic nudist heritage, but the reality of the matter shows the opposite and shows that in most of his studies he was a major factor in distorting and blurring facts, and planting doubt and suspicion in the Islamic belief in order to strike it in the name of science and thought.

Keywords : Subjective, objective, ijihad, research, orientalism, orientalists, manuscript, Arabic Islamic.

هيمنت الدراسات الاستشراقية على الكثير من الحقول المعرفية للفكر العربي الإسلامي، وهذا منذ أن أعلنت الكنيسة صراحة في بداية القرن الرابع عشر على ضرورة البحث في الحضارات الشرقية عامة و الحضارة العربية الإسلامية خاصة. و هنا انطلقت الدراسات الاستشراقية متأملة و محللة تاريخ الشرق و حضارته، واضعة نصب أعينها الحفر في البنى الحضارية و الثقافية للأمم الشرقية. ليتبين أنّ الكثير من هذه الدراسات قد كان منطلقها الأساسي هو الجانب الذاتي المتمثل في درس الآخر بغية تحقيق أكبر قدر ممكن من السيطرة عليه، -بشكل أو بآخر- فمهما كان الإنتاج الاستشراقي باديا في صورته الأولى و كأنه في خدمة التراث العربي الإسلامي، إلا أنّ حقيقة الأمر تبين عكس ذلك و تُظهر بأنّه قد كان في أغلب دراساته عاملا أساسيا من عوامل تشويش الحقائق وطمسها، وزرع الشك و الريب في المعتقد الإسلامي لضربه باسم العلم والفكر.

الكلمات المفتاحية: ذاتي، موضوعي، اجتهاد، بحث، الاستشراق، المستشرقون، مخطوط، عربي إسلامي

* الباحث المرسل:

1- مقدمة :

الإنسان بالتعريف المنطقي هو حيوان ناطق، و النطق هو القوة الباطنة الكامنة فيه والمتمثلة في العقل، هذا الأخير الذي يتميز به عن باقي الحيوانات الأخرى، فالعقل خاصية إنسانية تجعل من الذوات دائمة التساؤل دائمة البحث عن الحقائق العلمية و المعرفية المحيطة به، فتتوعدت العلوم إلى مجالات شتى، كما صنف العلم الواحد إلى تخصصات متعددة، الأمر الذي أدى إلى تحقيق أكبر قدر من التطور و التقدم الحضاري الإنساني.

و كان من بين الدراسات التي شددت ثلة من العقول الإنسانية الغربية هي الدراسات الاستشراقية، التي عنيت و لا تزال في عمومها بدراسة العالم الشرقي من جميع مجالاته و جوانبه الاعتقادية، الثقافية الإيديولوجية، الاقتصادية، و السياسية.

دراسة تساءل عن غايتها العقل الشرقي عامة و العقل العربي خاصة، ليجد أنّ الغرض من هذا الدرس قد كان ذاتيا صرفا يسعى إلى تحقيق أغراض و مآرب شخصية، تصب في مجملها في البحث عن آليات فرض السيطرة المطلقة على العالم الشرقي و الاستلاء عليه جملة و تفصيلا، وقد سالت أقلاما في كشف الصورة الحقيقية للدراسات الإستشراقية، فلا نكاد نجد أي دراسة حول الفكر الإستشراقي إلا و يتعرض إلى هذه الحقيقة حتى بات لزاما الطعن في مصداقية هذه الدراسة.

وهنا نجد أنفسنا أمام إشكال يطرح نفسه و بقوة هل كل دراسة إستشراقية هي دراسة ذاتية لا علمية؟ إنّ المتأمل في الدراسات الإستشراقية يجد أنها قد احتلت مكانة هامة في الفكر الإنساني بين بحث و نقد، و مراجعة للتراث و تحقيق مخطوط، فكانت بهذا المصدر الأول لكثير من البحوث الأكاديمية، و رغم الحقائق الشنيعة التي قيلت في حقها من تزوير و افتراء و تشويه للحقائق عن قصد، نجد أنّ هناك من كان فيها ملتزما بالروح العلمية و أزاح كل ذاتي و كل غرض شخصي يحيد به عن بلوغ الحقيقة .

لذا ندع في دراستنا هذه إلى تجاوز النظرة الأحادية للدراسات الإستشراقية، وأن ننظر بعين الاعتبار إلى القيمة العلمية و المعرفية التي قدموها للفكر الإنساني عامة و الفكر الإسلامي خاصة و ندرك إدراك اليقين أنها دراسات تتأرجح بين الذاتي و الموضوعي، وعلينا أن نأخذ بالحقائق و ننقض أباطيلهم و نطرحها جانبا .

في ماهية الدراسات الاستشراقية:

الدرس هو الفحص و التمحيص، وهو كثرة القراءة للشيء⁽¹⁾، أما الاستشراق فهي مشتقة من الشرق، وبالتالي يمكن القول أنّ الدراسات الاستشراقية هي قراءات وافرة ومتعددة لعالم الشرق، هذا الأخير الذي يضم الهند، الصين، إيران و الدول العربية الإسلامية بصفة خاصة. و إذا كنا نبحت عن الجذور التاريخية لمصطلح مستشرق، فيمكن القول أنه قد "أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وكان في مجمله يدل على معرفة بعض اللغات الشرقية، إلى أن ثبت المعنى وهذا بأن كل من تجر في لغات الشرق و آدابه فهو مستشرق، و علم الاستشراق يختص بفقهِ اللغة، و كلمة شرق تعني مشرق الشمس، و على هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"⁽²⁾. هذا الأخير الذي نجده و حسب معظم الدراسات منحصرا في البحوث التي يتناولها الغرب و التي تخص الفكر الإسلامي و الحضارة الإسلامية بالدرجة الأولى. و في الحقيقة ليس هناك مفهوما محددتا اتفق عليه حول مصطلح الإستشراق و مجالاته و الحقول التي يعالجها، "فهناك من يطلق هذا المفهوم على كل من يقوم بدراسة الشرق حتى و إن كان ليس من المتخصصين في الدراسات الإسلامية، و لكنهم بصفتهم يُعنون بالمسائل و القضايا الشرقية دون أن يكونوا هم من هذه الأصقاع، و منهم من ينظر إليه على أنه تلك الموضوعات و الدراسات الإسلامية و الشرقية التي يعالجها المستشرقون بمنهج و طرق علمية كتلك التي يتبعها الغربيون في دراساتهم، و منهم من اعتبر القائمين بتلك الدراسات لتحديد مفهوم الإستشراق حتى ولو كانوا لا يتقنون اللغات الشرقية، ولا يعرفون تاريخ الشرق، و حضارته و خصائصه، وهم المصنفون في فئة خبراء النفط، و الجواسيس، و رجال الاستخبارات الغربية المتخفين تحت قناع الدبلوماسية الذين يجدون من يقرأ تقاريرهم و بحوثهم سواء تم التعويل عليها أو كان مصيرها الإهمال"⁽³⁾.

و مهما يكن من أمر فإنّ هناك اهتمام للعقل الغربي بدراسة عالم غير عالمه، و هنا نتساءل عن الدافع الأساسي الذي أدى به إلى هذا الدرس و البحث.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، (د-ط)، دار المعارف، القاهرة، (د-ت) م2، ج15 ص 1360.

² - محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، (د-ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1994م، ص11.

³ - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2002م، ج1، ص 24.

2- دافع الدراسات الاستشراقية:

إنّ لكل شيء سبب و غاية، و إذا كانت غاية الدرس و البحث تصب في عمومه في تحقيق غاية مرجوة وهي محبة المعرفة و التطلع إليها، و السعي وراء ألقها، نجد أنّ الدراسات الاستشراقية قد تجاوزت هذا البعد بشكل أو بآخر فكانت دراستها لا تكمن في تحقيق الغاية المعرفية بقدر ما كانت تنشأ أهدافا أخرى قد اتضحت للعوام و الخواص ، وهذه الدوافع استنبطت من خلال ممارساتهم الفكرية و التصريح عن غايتهم المرجوة في مجالسهم و لقاءاتهم العلمية⁽⁴⁾

و إذا كانت دوافع الدراسات الإستشراقية قد صنفت في غير واحد من الدراسات التي اهتمت بالفكر الإستشراقي إلى دوافع دينية، ثقافية، اجتماعية اقتصادية، وغيرها فإننا نذهب في دراستنا هذه إلى أن كل هذه الدوافع تصب في دافع واحد ووحيد وهو دافع الهيمنة و السيطرة المطلقة، و بالتالي الدافع الاستعماري، فكان بهذا الدرس الإستشراقي ما هو إلا سبيل و منهج وضع لتحقيق كيفية السيطرة والهيمنة، و بتعبير أدق منهج الحصول على ثغرة دقيقة تمكنه من أن يهيمن على مجال ما : ثقافي، اقتصادي، ديني (...إلخ، و بالهيمنة على هذه المجالات يتحقق الاستعمار بصورته غير المباشرة.

هيمنة طالأت أصعدة عدة نذكر منها:

أ- الجانب العقائدي الديني:

الدين هو العادة و الحال و السيرة، و السياسة ، و الرأي، و الحكم، و الطاعة و الجزاء، و قد أطلق الدين قديما على وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير، و يطلق لفظ دين على الشريعة، وهي السنة، أي ما شرعه الله تعالى لعباده من السنن و الأحكام.

كما ينظر إليه على أنه جملة من الإدراكات و الاعتقادات و الأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله، و عبادتها إياه، و طاعتها لأوامره؛ وهو الإيمان بالقيم المطلقة و العمل بها كالإيمان بالعلم و بالتقدم، أو الإيمان بالجمال و بالإنسانية.

كما يمكن اعتباره مؤسسة اجتماعية تضم أفرادا يتحلون بصفات نذكر منها:

⁴ - أنظر تفصيل هذا في طارق سري، المستشرقون و منهج التزوير و التلفيق في التراث الإسلامي، ط1، مكتبة الناقد، مصر

- قبولهم بعض الأحكام المشتركة، و قيامهم ببعض الشعائر
- ايمانهم بقيم مطلقة، وحرصهم على تأكيد هذا الإيمان و حفظه.
- الاعتقاد بالرابط المتين بين الذات العلى و عباده، مرتبط بقوة روحية أعلى منه مفارقة لهذا العالم أو سارية فيه⁽⁵⁾.

ومهما يكن من أمر فإنّ الجانب الديني يشكل أكبر قوة للنموذج الانساني في الاتحاد و التآزر، فهو وضع يبرز و بشكل واضح في تعاليم الدين الإسلامي، هذه التعاليم التي تنادي بالقيم الإنسانية المطلقة و بتحقيق المصلحة على المستوى الفردي و الجماعي، دين كفل طمأنينة الجانب الروحي كم كان مصدر كشف والهام لمجمل تساؤلات العقل البشري، مما حقق راحة و طمأنينة جانبها الروحاني، فراح الإسلام ينتشر كعقيدة في مختلف بقاع العالم و بدأ معتنقه يتزايد جيل بعد جيل، فتنبه العقل الإستشراقي لهذا وراحت بعض عقوله تتصدى له، متخذة بذلك أساليب غير شرعية غير علمية كتشويه صورة الإسلام و هذا من خلال تغييب حقائقه و إظهاره بصورة مغايرة تماما لما هو عليه، و سنرجع إلى هذه النقطة بتفصيل أدق في عنصر ذاتية الدراسات الإستشراقية

ب-المجال الثقافي الايديولوجي

الثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية، ومنها تثقيف العقل و تثقيف البدن، أما بمعناها العام فهي ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق، و حسّ انتقادي، و حكم صحيح، أو هي التربية التي أدت إلى كسبه هذه الصفات⁶

و كان من غاية الدرس الإستشراقي خلق ثقافة موحدة في ظل عالم متعدد الثقافات، و محاولة تثقيف الشعوب ثقافة بعيدة كل البعد عن ثقافتهم المتوارثة تاريخيا، الأمر الذي يؤدي إلى مسخ كل الموروثات الثقافية و الحضارية الخاصة بها، فتصبح هذه الأخيرة خاضعة ثقافيا للغرب، و من الأساليب التي يتبعونها في هذا أسلوب زرع الشك في العلماء الشرقيين و محاولة رفع شأن المستشرقين، ليصبح هؤلاء المصدر الوحيد الموثوق به .

و المتأمل في هذه الأسطر يستدرك ما كان في الفكر الحداثي من تشكيك في أصول العقيدة الإسلامية، و الدعوة إلى إعادة النظر في الموروث الأول للفكر الإسلامي، قضية نرى أنها أصبحت تشكل محور الفكر العربي المعاصر.

⁵ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (د-ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج 1، ص 572.

⁶ - المرجع نفسه، ج 1، ص 378.

ج- المجال الاقتصادي:

يزخر عالم الشرق بتروات طبيعية جمة، كالبتروول و الغاز و موارد أخرى يتدبذ اقتصاد أي دولة بها، فكانت معرفة حال ثروات العالم الشرقي، معرفة من باب النهب و السلب هذا من جهة ومن جهة أخرى ، اعتماد أسلوب شل حركة التسوق و فرض التسوق الغربي على الساحة و بالتالي التطلع بالاقتصاد الغربي من خلال استغلال اقتصاد البلدان الأخرى من خلال استغلال ثرواتها وأسواقها.

و تجدر الإشارة إلى أن ازدهار و تقدم أي دولة لا يكون إلا بمتانة اقتصادها و قوته، لذا كان الاهتمام بهذا المجال هو اهتمام بركائز و أسس قيام دولة مستقلة لها كيان مستقل عن باقي الدول الأخرى، فتكون أمرة لا مأمورة حاكمة لا محكومة.

د- المجال الاستعماري:

من المفاهيم المتداولة للدراسات الاستشراقية أنها دراسات وضعت لتحقيق مآرب استعمارية، و التاريخ الإنساني يشهد كيف أن بعضا من هذه الدراسات قد ساعدت الكثير من الحركات الاستعمارية، لأنها أصبحت تعد أسلوبا لفهم الشرق من أجل السيطرة عليه، ومحاولة إعادة تنظيمه وتوجيهه و التحكم فيه. فمن أجل الهدف الاستعماري درس الشرق سياسيا، واقتصاديا واجتماعيا وايدولوجيا و علميا، ومن أجل تحقيق هذه الغاية أصبح الاستشراق يحتل مكانة هامة بين مختلف مجالات العلم و المعرفة لدى الاستعمار و ميول الغرب الاستغلالية⁽⁷⁾

3- في حصيعة الفكر الاستشراقي:

لا أحد يستطيع أن ينكر المجهودات التي قام بها المستشرقون في الحقل المعرفي للفكر الانساني عامة و الفكر العربي الاسلامي خاصة، حتى باتت هذه الدراسات وفي أغلب حالاتها تعد المصدر الأول بالنسبة لكثير من البحوث الأكاديمية.

⁷ - محمد ابراهيم الفيومي، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، ص20. / و للاستفاضة في دوافع الدراسة الإستشراقية انظر : أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، (د-ط)، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة، ص ص 40- 51

ولو نتأمل في الإنتاج الإستشراقي نجده قد طال أصعدة و مجالات عدة، خاصة تلك التي تهتم بالتراث و تعمل على استرجاعه من جديد وهذا بتحقيق مخطوط، أو تحلل و تناقش قضاياها لم يسبق أن انتبه إليها أحد.

ومن بين أعلام الدراسات الاستشراقية نذكر:

▪ آرثر جون آبري (1905-1969)م:

مستشرق انجليزي برز في التصوف الإسلامي و الأدب الفارسي، أهم الانجازات التي قام بها:

- تحقيق كتاب الرياضة للحكيم الترمذي، طبعه في القاهرة سنة 1947م
- خمسون قصيدة لحافظ الشيرازي، مع ترجمة إلى الانجليزية
- صفحات من كتاب اللمع و قدم له بمقدمة فيها دراسة ممتازة عن أستاذه نيكلسون الذي نشر اللمع للسراج
- ترجمة "زنيقة سينا" لمحمد إقبال
- قام بترجمة قصائد محمد إقبال
- كما عثر في مجموعة شستر بيتي على مخطوط ل"رباعيات الخيام" فنشره عام 1949م
- ترجمه سنة 1951م، كما عثر على مخطوط آخر لرباعيات الخيام، فاقتناه لجامعة كمبردج سنة 1950، و ترجمه سنة 1952م⁽⁸⁾.

▪ اجنس جولد تسهير (1850-1921)م:

مستشرق مجري، من أصول يهودية عني بالدراسات العربية عامة و الإسلامية الدينية خاصة أهم الإنجازات التي قام بها:

- مؤلف وسمه "بالظاهرة مذهبهم و تاريخهم"، ظهر سنة 1884م، وهو لا يعنى بالمذهب الظاهري كما يبدو و إنما كان مقدمة في الفقه. يدرس فيه أصول الفقه دراسة مستفيضة.
- له أيضا مؤلف وسمه بدراسات إسلامية تحدث في جزءه الأول عن الوثنية و الإسلام، أما الجزء الثاني فقد كان حول في نصفه الأول يعد كأعظم بحث كتب في الحديث، وفي النصف الآخر يتحدث عن تاريخ تقديس الأولياء في الإسلام و يحدد طبيعة هذا التقديس
- كان من أشهر أبحاثه و أعظمها "محاضرات في الإسلام" الذي صدر سنة 1910م، وهو عبارة عن نظرة عامة للإسلام و من جميع نواحيه، و كتاب "اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين" الذي صدر سنة 1920م و كان في تاريخ تفسير القرآن الكريم⁽⁹⁾.

⁸ - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص ص 5-8

▪ أرنست رينان (1823-1892)م :

مستشرق فرنسي، عني خصوصا بتاريخ المسيحية و تاريخ شعب إسرائيل، و رغم أنه قد كان متقنا للغة العبرية، غير متمكنا في اللغة العربية، إلا أنه يعد من أكبر المستشرقين الذين اعتمدت عليهم بعضا من الدراسات العربية، أهم إنجازاته:

- ابن رشد و الرشدية صدر سنة 1852م، وفيه دراسة تفصيلية حول فلسفة ابن رشد، وهو كتاب عن الرشدية اللاتينية و تاريخها في القرون الوسطى و خاصة في إيطاليا.
- له مؤلف وسمه "بتاريخ اللغات السامية" صدر سنة 1855م، قارن فيه بين ألفاظ عربية ونظائرها في العبرية و السريانية و الحبشية، وهذه دراسات سبقه إليها علماء الساميات منذ أواخر القرن الثامن عشر .
- وهناك مقالات كتبها حول مؤلفات عربية و إسلامية، نذكر منها مقامات الحريري سنة 1853م وهي دراسة في النص العربي، كما كتب إسبانيا الإسلامية سنة 1853م أيضا وهي دراسة عن كتاب دوزي: أبحاث في التاريخ السياسي و الأدبي لإسبانيا خلال العصور الوسطى ، كما أصدر مقالا وسمه بابن بطوطة، و مرود الذهب للمسعودي وغيرها من المقالات الأخرى التي تبحث في الفكر العربي الإسلامي¹⁰.

هذا بالإضافة إلى إقامة المؤتمرات و الملتقيات، و إنشاء جمعيات في شتى بقاع العالم، أنشطة علمية تخدم هدف و غاية الدرس الإستشراقي.

و نحن أمام هذا الكم الهائل من الانتاج الغربي للفكر العربي الاسلامي نجد أنفسنا أمام إشكال يطرح نفسه و بقوة، وهو إلى أي مدى تحقق البعد العلمي الأكاديمي في هذه الدراسة، سيما أنه و كما أشرنا سابقا أنّ نسبة كبيرة من الدراسات و البحوث الأكاديمية أصبح ملاذها الأول الدرس الاستشراقي ، الأمر الذي دعا إلى البحث في مصداقية هذا المصدر، هذا الأخير الذي بدى للكثير من الباحثين أنّ منطلقاته قد كانت ذاتية صرفة و بعيدة كل البعد عن المجال العلمي الأكاديمي،

⁹ - المرجع نفسه، ص ص 197 - 203

¹⁰ - المرجع نفسه، ص ص 311 - 320

نتائج قد وصل إليها هؤلاء كخلاصة لبحوث استغرقت لسنوات ومع هذا نجد أنّ هناك نسبة أخرى من هذا الفكر قد خدمت الفكر الإنساني بصفة عامة كما خدمت الفكر العربي الإسلامي بصفة خاصة
إنها دراسة تتأرجح بين الذاتي و الموضوعي و تفصيل هذا في ما يلي:

4- الذاتي في الدرس الاستشراقي:

لا يكاد مصطلح الفكر الإستشراقي تردده الألسن إلا و يتجه الذهن مباشرة إلى تلك الدراسة غير العلمية، الدراسة التي تهدف إلى السيطرة على الآخر و منه إلى سلبه و نهبه بشتى الوسائل والطرق، فهي دراسات قد أقيمت أساسا لتحقيق مبدأ السيطرة على الآخر و استعمارها. فكانت الدراسات الاستشراقية المصنفة في هذه الفئة دراسات ذاتية صرفة، خارجة عن مجال البحث العلمي لأنها لا تسعى لإظهار الحقائق بقدر ما تسعى إلى طمسها و إصاق الشبه بها. يمكن أن نحصر ذاتية الدراسات الإستشراقية في النقاط التالية:

أ- البعد الديني :

بدأ الإستشراق بالقساوسة و الرهبان، و كان معظم المستشرقين من رجال الكهنوت، كان هؤلاء مدفعين بدافع الانتصار للمسيحية و الرغبة في التبشير، و تنصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوراتهم، و استطاع الدين الإسلامي أن يتغلب على النصرانية المحرفة . واتجه هؤلاء إلى محاربة الإسلام، و إظهاره على صورة مشوية بالتزوير و التلفيق، كما حرفوا حقائقه عمدا وسعوا و بأساليب ملتوية إلى خط العديد من المؤلفات و المصنفات الباطلة و التي لا تمت بأي صلة إلى الحقيقة.

فأهم ما جاء في مصنفاتهم عن الدين الإسلامي زرع الشك في الرسالة المحمدية، و الشك في المصدر الإلهي للدين الإسلامي، و يتحIRON في تفسير مظاهر الوحي، و لم يجدو تفسيراً لهذا سوى أنها كانت تخيلات تملأ ذهن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و منهم من فسره بأنه مرض نفسي، و منهم من يرجعه إلى صرع كان ينتابه و هكذا ¹¹

و المتأمل في هذا يجد أنّ ما أتى به هؤلاء شبيه بما كان من قبل العقل الجاهلي في بداية نزول الوحي، و إننا لنعجب كل العجب من توافق هذه العقول التي تدعي دقة العلم و المعرفة مع عقل العصر الجاهلي عقل ما قبل خمسة عشرة قرن.

¹¹ - فاطمة هدى نجا، نور الإسلام و أباطيل الإستشراق، ط1، دار الإيمان، طرابلس، 1993م، ص 80

و لإثبات قضيتهم هذه ذهبوا إلى المس بأصول العقيدة الإسلامية، و بالمس في أسماء و صفات الذات العلى، كما افتروا على الملائكة، و على القرآن الكريم، و على اليوم الآخر أيضا، دراسات تصدى لها الفكر الإسلامي بالرد و نقض و دحض كل ما أتوا به في هذا¹²، فرغم ادعائهم للمنهج العلمي نجد أنّ جل أبحاثهم التي كانت حول الدين الإسلامي و أصوله إنما تصدر عن هوى و قصد دفين، و أنهم يحرفون النصوص بالتأويل و الاستنباط¹³، و استبدلو المنهج العلمي بمنهج التلغيق و التزوير الذي يخدم ذاتيتهم.

ب- البعد الإيديولوجي:

كثيرة تلك الدراسات الاستشراقية التي حللت الفكر الإنساني عامة و الفكر الفلسفي خاصة، وأهم ما جاء في هذه الدراسات تلك التي قارنت بين الجنسين الآري و السامي، فخلصت إلى نتائج تمثلت في أنّ الجنس الآري أفضل من الجنس السامي، بذكائه و تقطنه و قدرته الخارقة على التحليل و التركيب و إنشاء النظريات، أما العقل السامي فهو عقل خامل سطحي، عاجز عن إدراك الحقائق، هنا خلص أرنست رينان إلى أنه "لا وجود لفكر فلسفي عربي و إنما كان هذا الأخير ما هو في حقيقته إلا فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية"¹⁴.

و الأمر نفسه بالنسبة إلى المستشرق جوستاف فون جرونوم الذي درس الإسلام من منطلق التفوق الغربي للحضارة الأوروبية، وراح يثبت في دراساته في إثبات فضل الحضارة الهلينية على الحضارة العربية الإسلامية، وهو حين يتحدث عن الإسلام يستخدم مصطلح "المحمدية" لعدم اعترافه بالوحي أصلا، كما يمثل جرونوم التيار الجديد الذي يحاول أن يرد نهضات الأمم إلى مصادر ثلاث: تاريخ الإغريق، تاريخ بني إسرائيل، و تاريخ روما، و يحاول أن يقيم نظريته على قاعدة أنّ بغداد وارثة للحضارة القديمة التي يمكن رد أغلبها إلى الفراعنة، و الفينيقيين، و هم عرب أصلا.

كما نجد في محاولاته تعصبا شديدا وهذا في رده للتراث الإسلامي إلى تعاليم المسيحية، و اليهودية من حيث العقيدة، و التاريخ الفارسي من حيث المعرفة، و التاريخ اليوناني من حيث العلم

¹² - أنظر تفصيل هذا في عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام - عرض و نقد، - ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001م.

¹³ - سعد المصري، أضواء على أخطاء المستشرقين، ط1، دار القلم، الكويت، 1988م، ص 184

¹⁴ - أرنست رينان، ابن رشد و الرشدية، تر: عادل زعيتر، (د-ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م

التجريدي¹⁵، و الواقع أنّ تاريخ الفكر الإنساني يثبت أنّ الفكر الإسلامي له من المبادئ والخصائص ما يخول له أن يكون فكراً قائماً بذاته يضاهاه أي فكر آخر.

وكان من حصيلته الدراسات الذاتية للمستشرقين أن خلصت إلى نتائج يمكن حصرها في مايلي:

- التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم و مصدرها الإلهي
- إنكارهم أن يكون القرآن الكريم كتاباً منزلاً عليه من عند الله عزّ وجل
- إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً وإنما هو ملفق من الديانتين اليهودية و المسيحية
- التشكيك في صحة الأحاديث النبوية الشريفة
- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي
- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي¹⁶

نتائج تسفر على ذاتية محضة همها الوحيد نسف المعتقد الإسلامي بأي صورة كانت، الأمر الذي حرك القلم الموضوعي بالرد و الدحض على هذه الأباطيل و كان هذا في الدرس الموضوعي الذي تحلت به دراسات استشراقية مقابلة.

5- الموضوعي في الدرس الاستشراقي:

صحيح أنّ الدراسات الإستشراقية كانت في معظمها دراسات ذاتية إلا أنّ هناك البعض منها من كان يتصف بالدراسة الدقيقة و المعمقة، وهذا في شتى المجالات المعرفية، حتى أن كان هناك من يصف أعمال بعض المستشرقين بأنها تقدم صورة شمولية ساذجة، و البعض الآخر لا تخرج أعماله عن تقارير مخابر سريعة، وكلتا الرؤيتين تقدم رؤية الشرق مستندة إلى مركزية غربية، لذلك كان الاستشراق في نظر هؤلاء النقاد يتناثر و ينحل في تخصصات متباينة كالتاريخ، و الاقتصاد، و السياسة، بل إنّ الأوساط الغربية الأكاديمية التي تهتم بالتخصص الدقيق، ترفض الاستشراق و ترى أنه لم يتقدم، ولم يصبح بعد أحد مجالات المعرفة الإنسانية الهامة¹⁷.

فكان من بين هؤلاء

¹⁵ - عبد الرحمن عميرة، الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الاستشراق، (د-ط)، دار الجليل، بيروت، (د-ت)، ص 133.

¹⁶ - مصطفى السباعي، الاستشراق و المستشرقون ما فهم و ما عليهم، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1979م، ص ص 20

■ الكونت هنري دي كاستر :

الذي درس الإسلام دراسة عميقة، وله مؤلف وسمه ب"الإسلام سوانج و خواطر"، حاول أن يحلل فيه الكثير من القضايا الإسلامية، كما جند نفسه في الرد على كثير من افتراءات المستشرقين اتجاه القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه و سلم ، إذ تنبه لضدة الرابط الروحي بين فرسانه و خالقهم وهم يأدون فريضة الصلاة وهنا بدأ يتساءل، ما الإسلام؟ أهو فعلا ذلك الدين الذي صورته الكنيسة بصورة بشعة تنفر النفس منه، ولا يطمئن إليه الوجدان، كيف وهو يرى بأم عينه حال فرسانه وهم في قمة الصفاء الوجداني، فراح يدرس الإسلام، و أزاح عنه كل تلك الأغاليط و اقتضت المسؤولية العلمية و المعرفية أن يزيح الأباطيل وأن يعمل على نشر الحقيقة فألف "الإسلام خواطر و سوانج" وفيه تحدث عن كثير من جوانب الإسلام، كالحديث عن الرسول صلى الله عليه و سلم ، و الحديث عن التعاليم الإسلامية، كما سخر مما كان يردد من الأباطيل قائلا: و ذهبوا إلى أنّ محمدا وضع دينه بادعائه الألوهية، ومن المستغربات قولهم: إنّ محمدا الذي هو عدو الأصنام، و مبيد الأوثان: كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب، كما كان يعتقد "الكرولفنجيون"، بل لقد أغرق خيالهم في الضلال فذهبوا إلى أبعد من ذلك، و ذهبوا إلى أنّ صورة "ماهوم"¹⁸ كانت تصنع من أنفاس الأحجار و المعادن بأحكم صنع و أدق إتقان، و بعد أن ذكر الكثير من آرائهم تابع: ولقد أطلقنا القول في تلك الأضاليل، لأن تاريخ اسكندر¹⁹ المذكور لم يزلها، و لأنها تركت أثرا في الأذهان وصل إلى أهل هذه الأيام، و تشبعت به أفكارهم في النبي و كتابه²⁰.

■ يوهان ريسكه (1716 - 1774)م

وهو مستشرق ألماني، كان له موقفا إيجابيا من الإسلام، و إليه يرجع الفضل، في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا²¹.

■ توماس أرلوند (1864 - 1930)م

¹⁸ - يقصد به محمد صلى الله عليه و سلم

¹⁹ - ألف القسيس "اسكندر دوبون" كتابا سنة 1258م، عن محمد صلى الله عليه و سلم، و كان الناس يعدونه تاريخا صحيحا واطضح أنه ليس كذلك ،

²⁰ - هنري دي كاستري، الإسلام خواطر و سوانج، تر: أحمد فتحي زغلول، ط1، مكتبة الناظمة، مصر، 2008م / عبد الحليم محمود، أوروبا و الإسلام، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د-ت)، ص ص 52 - 54.

²¹ - عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام، ص 43.

مستشرق إنجليزي له كتاب "الدعوة إلى الإسلام" the bre ching islam ترجم إلى التركية والأوردية وإلى العربية، و فيه برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس هؤلاء معهم²²، الدراسة التي لاقت ما لاقت من سخط المستشرقين المتعصبين.

▪ غوستاف لويون (1841- 1931م)

مستشرق فرنسي لا يؤمن بالأديان، جاءت أبحاثه و كتبه متممة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله و عدم تقديره.

و كثير غير هؤلاء من ما التزموا بالصدق و الدقة و الموضوعية في كتاباتهم و لم يكن همهم سوى بلوغ الحقائق و إدراكها ادراكا نقيًا صافيا. "ككاريل" و "جاك بيرك" و "رينيه جينو" و "جرينيه" و "جوته الألماني".

6- خاتمة:

من خلال دراستنا هذه يمكن أن نحصر النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

- الدراسات الإستشراقية هي تلك الدراسات التي كانت من قبيل اهتمام الغربي بالعالم الشرقي.
- وضعت الدراسات الإستشراقية وضعا مقصودا لتحقيق مآرب و أغراض شخصية تصب في مجملها في مآرب و غرض واحد وهو فرض السيطرة التامة على العالم الشرقي وهذا لاستغلاله بشتى السبل والوسائل.
- ضرورة تجنب الأحكام المسبقة المطلقة في أن الدراسات الإستشراقية دراسات غير علمية، فدراستنا هذه أثبتت أن الدراسات الإستشراقية في جدل و أخذ ورد بين الذاتي و الموضوعي.
- ضرورة الاعتراف بالقيمة العلمية و المعرفية التي أمدتنا بها الدراسات الإستشراقية الموضوعية، و هذا بإعادة النظر في التراث من تحقيق مخطوط و تحليل و مناقشة قضايا جديدة لم يسبق و أنانته إليها الفكر من قبل
- ضرورة تصنيف الدراسات الإستشراقية إلى دراسات ذاتية و أخرى موضوعية، حتى تأخذ البحوث بالدراسات الموضوعية و تطرح جانبا الدراسات الذاتية.

²² - سير توماس و أرنولد، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر: حسن اراهيم حسن و غيره، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1970م،

قائمة المصادر و المراجع

- 1- ابن منظور، لسان العرب، (د-ط)، دار المعارف، القاهرة، (د-ت).
- 2- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، (د-ط)، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة.
- 3- أرنت رينان، ابن رشد و الرشدية، تر: عادل زعيتير، (د-ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م
- 4- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (د-ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
- 5- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2002م.
- 6- سعد المصرفي، أضواء على أخطاء المستشرقين، ط1، دار القلم، الكويت، 1988م.
- 7- سير توماس و أنولد، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر: حسن اراهيم حسن و غيره، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1970م.
- 8- طارق سري، المستشرقون و منهج التزوير و التلفيق في التراث الإسلامي، ط1، مكتبة الناظمة، مصر 2006م.
- 9- عبد الحلیم محمود، أوروبا و الإسلام، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د-ت)
- 10- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.
- 11- عبد الرحمن عميرة، الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الاستشراق، (د-ط)، دار الجيل، بيروت، (د-ت).
- 12- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام - عرض و نقد-، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001م.
- 13- فاطمة هدى نجا، نور الإسلام و أباطيل الإستشراق، ط1، دار الإيمان، طرابلس، 1993م
- 14- محمد ابراهيم الفيومي، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، (د-ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1994م.
- 15- مصطفى السباعي، الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1979م.
- 16- هنري دي كاستري، الإسلام خواطر و سوانح، تر: أحمد فتحي زغول، ط1، مكتبة الناظمة، مصر، 2008